الفصل الرابع: النظريات السوسيولوجية المفسرة للحركات الاجتماعية:

بالرغم من الحزم والجدية في التعاطي مع موضوع الحركات الاجتماعية ، فقد توصل الباحثين من صياغة نظريات قائمة والسؤال للتفكير فيها وتقديم خلاصات بشأنها وفي هذا السياق يمكن التمييز بين أربع نظريات مفسرة لنشأة الحركات الاجتماعية وهي كالتالي :

1- نظرية السلوك الجماعي: أطلقها بعض المفكرين حول الحركات الاجتماعية وهي تعود إلي سنوات الأربعينيات والخمسينات من القرن العشرين . وتدين هذه النظرية بالكثير لمدرسة شيكاغو ، وأساسا لبارك (PARK) ومن بعده بلومر ، كما تدين لبعض الوظيفيين من أمثال سمسلر (SMELSER) وبعض الباحثين القريبين من علم النفس الإجتماعي ، مثل غور (GURR) وتستند في تفسيرها للحركات الإجتماعية إلي خلاصات علم النفس الإجتماعي وسيكولوجية الجماهير مثل الهبات الجماهيرية و المظاهرات. وتربط هذه النظرية ميلاد الحركات الإجتماعية بحدوث مظاهرات وأشكال من الهستريا الجماعية، حيث تنتقل العدوي الجماعية التي تجعل الفرد منساباً مع السلوك الاندفاعي، بمعني أن الحركات الاجتماعية ، وفقاً لهذا الفهم تنطوي علي ردود أفعال ليست بالضرورة منطقية تماما في مواجهة ظروف غير طبيعة من التوتر الهيكلي بين المؤسسات الإجتماعية الأساسية، ويؤكد أنصار هذه النظرية المسار الإنحرافي الذي قد يسير فيه الحركة الإجتماعية ، أي من الممكن أن تحتمل في مستقبلها ملامح الخطورة تماما كما هو الأمر بالنسبة إلي الحركات الفاشية في ألمانيا وإيطاليا. كما يصرون علي اعتبارها انعكاسا لمجتمع مريض ، حيث لا تحتاج المجتمعات الصحية إلي حركات اجتماعية بل تتضمن أشكالاً من المشاركة السياسية والاجتماعية .

2- نظرية تعبئة الموارد: تطورت منذ الستينيات من القرن الماضي ارتكازا على فهم خاص يبحث في تشكل الحركات الإجتماعية وآليات تدبيرها بواسطة الموراد الاقتصادية والسياسية والتواصلية، التي تتوافر للأفراد والجماعة المنخرطة في الفعل الاحتجاجي، بدون إغفال القدرة علي استعمال هذه الموارد . وقد

ظهرت الإرهاصات الأولي لهذه النظرية في أمريكا في سياق البحث عن إطار تحليلي للحركات الإجتماعية ، خصوصاً مع تنامي الحركات النسائية وحركات السود والمدافعين عن البيئة. ويعتقد أصحاب هذه النظرية أن الحركات الإجتماعية هي إستجابات منطقية لمواقف وإمكانيات طرأت حديثاً في المجتمع ، وعليه لا يتوجب إعتبارها مؤشرات للإختلال الإجتماعي ، بل هي مظهر من مظاهر الفاعلية الإجتماعية ومكون بنيوي من العملية السياسية . لهذا تعير هذه النظرية جنباً كبيراً من الإهتمام للعلائق القائمة بين هذه الحركات والقضايا السياسية المثارة في النسق المجتمعي لإكتشاف جدول التأثير والتأثر بين الإحتجاجي والسياسي .كا ان هذه المقاربة تعتمد على منهج المدخلات والمخرجات أي انها تهتم بتأثير الحركة على الأمد المنظور دون ان تضع في النظر البعد الاستراتيجي التراكمي لدور هذه الحركات

3- **نظرية الحركة الإجتماعية الجديدة:** لقد تم تأصيل هذه النظرية في أوروبا لتبرير مجموعة من الحركات الجديدة التي عرفتها الستينات والسبعينات من القرن الماضي كما أنها طورت مع فريق آلان تورين في فرنسا ،والبرتو ميلوتسي (A.melluci) في إيطاليا ، وكلوس أوف (C.offe) في ألمانيا ، وكريسي (kriesi) في سويسرا ، وكلانديرمانس (klandermans) وتارد رايتشمان T.Reichman) (وكوبمانس (Koopmans) وفرناندیز (Fernandez) في أسبانيا، وتتمثل هذه النظرية الحركات الإجتماعية كفعل اجتماعي عاكس لتناقضات المجتمع الحديث بسبب العولمة النيوليبرالية والبيروقراطية المفرطة ، كما أنها أيضا تختزن الحلول الممكنة لجميع هذه الأعطاب والتناقضات . ويتم التشديد دوما في إطار هذه النظرية علي الاختلافات القائمة بين الحركات الإجتماعية القديمة والأخرى الجديدة ، التي تؤشر علي الانتقال من الدفاع عن المصالح الطبقية إلي الدفاع عن المصالح الغير طبقية المتعلقة بالصالح الإنسانية الكونية، وهو ما يعتبر حسب منظري هذه المقاربة أن هذه الحركات الإجتماعية الجديدة تهتم أكثر بتطوير الهوية الجماعية والمراهنة على الطبقة المتوسطة بدلاً من الطبقة العاملة .ويعود حسب منظري الحركات الاجتماعية نشأة مثل هذه الحركات الى التناقض الحادث بين الدولة وبين افرد المجتمع الواسع او تنشأ نتيجة حالة عدم الرضا بين البناء السياسي للنظام الاجتماعي والطبقات الدنيا للمجتمع.

4- براديغم الفعل / الهوية : وهي النظرية التي تعتبر الحركات الإجتماعية ديناميات اجتماعية حائلة دون الركود أو الثبات الإجتماعي ؛ فهي أفعال احتجاجية تهدف الى مقاومة جميع إمكانيات التكريس وإعادة إنتاج كل ما له علاقة بالوضع القائم ، وهو ما يجعل منها ممارسات ضد الهيمنة . فأنصار هذه النظرية يؤكدون أن المجتمعات البشرية سائرة علي درب الانتقال من الشكل القديم للرأسمالية الصناعية إلي مجتمع مرحلة ما بعد التصنيع القائم علي " البرمجة " حيث يسيطر التكنوقراط وتنامي عناصر الهيمنة والتوجيه . وعليه يلح أنصار هذه النظرية علي أن المجتمع المبرمج والموجه من جانب التكنوقراط يبخس دور الطبقة العاملة، وفقا لهذا البراديغم النظري فهم الحركة الإجتماعية كفعل ضد الهيمنة من أجل

تحسين الهوية .فرغم وجاهة هذا المفهوم وارتباطه بالتطورات التكنولوجية الحاصلة في العالم إلا انه يهمل البعد الاجتماعي والاقتصادي في نشأة الحركات الاجتماعية.

خامسا :مساهمة علماء الاجتماع في تحليل وتفسير الحركات الاجتماعية:

1- مساهمة بيار بورديو :

يعتبر بيار بورديو واحدا من أهم المفكرين الذين ساهموا في توسيع دائرة النقاش والتحليل حول الحركات الاجتماعية التي عرفتها فرنسا والعالم من انتفاضة الشباب في أوروبا سنة 1986 ، منذ ذلك التاريخ استمر بورديو في الاهتمام بتفاصيل هذه الحركات، إلى الدرجة التي صار فيها اسمه مرتبطا بحركات مناهضي العولمة، ليس كباحث فقط وانما كمنظر، فهو يشكل مع "**شومسكي وأنطونيو نيغري وتيار** "أبرز المنظرين للحركات الاحتجاجية المناهضة للعولمة.

وقد اهتم بيار بورديو بتناول أنماط السيطرة الاجتماعية بواسطة تحليل مادي للنتاجات الثقافية وذلك في إطار إبراز آليات إعادة الانتاج المتعلقة بالبنيات الاجتماعية، وهو يركز في تحليله للحركات الاجتماعية إلى ما بلوره من مفاهيم وأطروحات بخصوص الحقل، والرأسمال، والعنف والمثقف الجمعي، فأدوات التحليل التي اعتمدها بيار بورديو تفيد في فهم ديناميات الحركات الاجتماعية، خصوصا عندما يتم تمثلها كحقول صراعية في نزاع وتنافس مستمر مع مؤسسات الهيمنة والاحتواء.

ولقد دعا بورديو إلى" حركة احتجاجية أوروبية "تكون خطوة أولى وهي حركة تفترض مزيدا من الالتزام والانخراط الايجابي للنقابات والحركات الاجتماعية والمثقفين والذين لا بديل أمامهم لمواجهة إكراهات العولمة واقتصاد السوق غير إبداء الرفض والاحتجاج ماديا ورمزيا دفاعا عن الاجتماعي وذلك بإبداع قنوات جديدة لمواجهة الرأسمالية العالمية التي مزجت بين التكنولوجيات الحديثة وسلطة رأس المال وهو يمنحها إمكانيات قصوى للهيمنة والتأثير داعيا بقوة إلى تحصين العلاقات والممارسات الاجتماعية.

فمنذ 1995 بدأ" بيار بورديو "ينظر للحركات الاجتماعية الجديدة ويناضل في إطاراتها المختلفة مقدما في ذلك نموذج للمثقف العضوي، و رافضا كليا النيو ليبرالية ودليله ما انتهى إليه من مقاربات سوسيولوجية وما يؤمن به من التزام سياسي، وهو ما وضحه في كتبه الشهيرة:

- le sens pratique الحس العملي

- la misère du monde بؤس العالم

وما إلى ذلك من كتب عميقة جعله ينظر للحركات الاجتماعية محتجا على العولمة والرأسمالية المتوحشة التي تتأسس على قوانين اقتصادية مجحفة.

2- **مساهمة ألان تورين :**

تعتبر الحركات الاجتماعية من بين اهم المباحث الأساسية التي اشتغل- عليها ألان توربن، حيث تتميز الحركات الاجتماعية الجديدة عند تورين بقدر معين من التنظيم والاستمرارية اللذين يؤديان إلى الفعالية في إعادة إنتاج تاريخ الأنساق الاجتماعية ويؤسس ألان تورين الحركة الاجتماعية على ثلاثة مبادئ أساسية هي:

مبدأ الهوية :ويقصد به ضرورة تحديد الهوية الذاتية التي يمكن أن تكون متعددة ومركبة(مجموعة، طبقة، شريحة اجتماعية،)... وبمقابلها أيضا يجب تحديد هوية الخصم.

مبدأ التعارض :يفترض مبدأ التعارض في الحركة الاجتماعية تحديد الخصم، أي يجب أن يكون الخصم الذي تقوم عليه الحركة واضحا وموضوعيا، مثال :الحركة العمالية ضد تنظيم العمل من أجل الاستقلال العمالي.

مبدأ الكلية :ويقصد ألان تورين هنا بأن الحركة الاجتماعية مكونة من وعي جمعي وبصيغة جمعية وشمولية لا أقلية وفردية من اجل النجاح في التأثير على الرأي العام من أجل الحصول على الحقوق والمطالب.

ومنه فالحركات الاجتماعية التقليدية تتكون من ثلاث عناصر حسب" **ألان تورين:**

- الدفاع عن الهوية والمصالح الخاصة– .
- المنافسة والصراع– .
- الرؤية المشتركة في تقاسمها الحركة مع منافسيها– .

والواقع أن آلان تورين يستند بالحركات الاجتماعية إلى موقفه النقدي من فكر ما بعد الحداثة باعتبارها فكرا هداما للنموذج العقلاني، مؤكدا أن هذه الحركات هي فعل خاص يؤشر على سلوك جمعي للفاعلين من جماعة معينة تناضل ضد جماعة أخرى من أجل القيادة الاجتماعية فالصراع حاضر بقوة في مستوى هذه الحركات، ويميز تورين في تصنيفه لهذه الحركات بين الجانب النوعي المتصل بالأشكال والصيغ، والجانب التنظيمي المفتوح على شروط الانتاج والتكوين.

وأن العمل السوسيولوجي حسب رأي آلان تورين لا يفترض ممارسة ذات بعد واحد، فثمة عوامل أخرى أكثر أهمية يتوجب الانتباه إليها في تفسير الفعل الاجتماعي.

لقد عمل آلان تورين على تأسيس نظريته حول الحركات الاجتماعية وتحديدا حول الجديد منها في منجز "الوعي العمالي " la conscience ouvrière والذي يعتبر فيه العمال فاعلين نازحين بامتياز.